أ.د. الشيخ علي جمعة
مفتي الديار المصرية

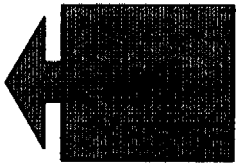

ما يجمعنا الكثير، والحوار والتواصل لم يتوقفا قط

الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية، وهو احد العلماء الازهريين الذين كان لهم باع كبير في الدعوة الى وحدة الصف الإسلامي والتقريب بين المذاهب الاسلامية. واستطاع ان يضع ركائز قوية من خلال قراءة التأريخ والسيرة، ومن خلال الفقه، لدعم قضية التقريب. والرجل له مواقف كثيرة قد نختلف معه في بعضها وقد نتفق معه، ولكن لا جدال انه من اكثر العلماء الذين طرحوا قضية وحدة المسلمين بشكل عميق، كما ان آراءه في كثير من القضايا تنسجم وتتفاعل مع موقف الشعوب الاسلامية مثل موقفه من الاعتداء على غزة وكذلك موقفه في حوار الحضارات ..... ومعه كان هذا الحوار :

قلنا لمفتي الديار المصرية كيف ترى العلاقة بين الشيعة و السنة؟

قال الدكتور علي جمعة: إن ما يجمع السنة والشيعة هو الكثير، وإن القضايا الخلافية فيما بينهم قليلة جداً، مشيراً إلى أن الحوار بين الطرفين على مستوى النخبة لم يتوقف يوماً، وهو يدار من خلال قلوب مفتوحة وبنيات طيبة في غالب الأحيان. وأكد جمعة

وجود محاولات عالمية متعددة لإضعاف الساحة الإسلامية، مشدداً على وجوب اعتماد آلية عملية تستخدمها النخبة وتعمل بها في سبيل ترجمة الجهود الوحدوية ومسائل التقريب في الميدان العملي.

واضاف: ان الجهود لا تنحصر على جهة معينة او دولة خاصة لنحمّلها المسؤولية، وعلى الجميع النهوض لتحقيق هذا الهدف المقدس . واكد ان على العلماء ان يراقبوا كلامهم وخطاباتهم لئلا يؤثر سلبيا على القاعدة الشعبية ويبث بذور الفتن والاحقاد، وخاصة ان كثيراً من اعلامنا انخرط في لعبة التفريق والتمزيق .

قلنا له : هل ترقب ما يجري على الساحة الشيعية من متغيرات فقد اصدر الامام السيد علي الخامنئي فتوى بمنع سب الصحابة ؟

قال مفتي مصر علي جمعة انه يؤيد بشكل تام التطورات التي حدثت لدى الشيعة في عام ٢٠٠٨، في إشارة إلى التصريحات الشيعية التي دعت لمنع سبّ الصحابة على المنابر، وكذلك الى فتوى الإمام الخامنئي بهذا الشأن.وقال انها خطوات هامة لدعم وحدة المسلمين ويجب ان يتعامل معها الجميع بنفس المستوى.

وأكد المفتي علي جمعة أنه "علينا الاعتراف بما تحرزه هذه الطائفة من تقدم يُمَكننا من التعاون معها في الوقت الحالي". مؤكدا أنه "لا حرج من التعبد على مذاهبها، فلا فرق بين سني وشيعي."إن الشيعة بطبيعتها طائفة متطورة، وهم يُسلّمون بذلك، باعتبارهم الواقع جزءا لا يتجزأ من فقههم، "ولكن هناك من ينقّب في الكتب الشيعية القديمة، ويخرج علينا بالخلافات، وهذا خطأ جسيم."

واتهم من يقوم بذلك بالسعي "لتدمير العلاقات بين السنة والشيعة لخدمة أغراض أخرى هدفها تفتيت وحدة المسلمين والتقليل من شأنهم لتسهيل تنفيذ المخطط الذي تم الإعداد له منذ فترة طويلة."

وكان كبار علماء الشيعة أكدوا –في العام الماضي، خلال ندوات ومؤتمرات– أن لعن الصحابة والخلفاء الراشدين، خصوصاً أبو بكر وعمر، وأم المؤمنين السيدة عائشة، ليس

من المذهب الشيعي، وأنها أمور دخيلة قديمة، ليس لها وجود في الكتب الشيعية المعتبرة.

وقال مفتي مصر: إنه "يجوز التعبد بالمذهب الشيعي ولا حرج، وقد أفتى بهذا شيخ الأزهر الراحل محمود شلتوت، فالأمة الإسلامية جسد واحد لا فرق فيه بين سني وشيعي، طالما أن الجميع يصلي صلاة واحدة ويتجه لقبلة واحدة."

وأضاف أنهم كانوا دائما جزءا لا يتجزأ من الأمة الإسلامية. قال تعالى: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾[1] ، وهكذا أمرنا سبحانه أن نصل رحمه صلى الله عليه وسلم، ولذلك قام أهل السنة والجماعة من لدن الصحابة وإلى يومنا هذا بحب آل البيت وإكرامهم، وآل البيت من الصحابة ومن بعدهم من الأئمة الكبار أحبوا الأمة وعملوا على إظهار ما في قلوبهم من الود لهم، فكانت أمة واحدة نفخر بوحدتها إلى يومنا هذا، وكل ذلك كان وما زال بعيداً عن الألاعيب السياسية والمصالح الإقليمية والرؤى الساذجة؛ حيث إن ترابط الأمة هو الذي يبقى بعد كل المتغيرات وتياراتها.

حرص الإمام البخاري في صحيحه كلما ذكر السيدة فاطمة، أردف ذلك بقوله: عليها السلام ولم يكتف بالترضي عليها كشأن الصحابة الكرام، وفعل ذلك أكثر من عشرين مرة في صحيحه الذي هو أصح كتب الحديث التي وصلت إلينا، واتهم الإمام البخاري أنه لم يرو عن أهل البيت الكرام وأئمتهم وهو خطأ بليغ، فقد روى عن محمد بن علي في نحو أربعة عشر حديثاً، وذكره في أصل الإسناد، ومحمد هو الإمام الباقر بن علي زين العابدين بن سيدنا الحسين بن سيدنا علي رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وروى أيضاً عن أولاده عبد الله بن محمد الباقر والحسين بن محمد الباقر، ومن ظن أنه لم يرو عن أهل البيت إنما جاء من عدم روايته عن جعفر الصادق، والبخاري كان شافعي المذهب ولم يرو عن الإمام الشافعي ولم يذكره إلا في موضعين، فليس في عدم الرواية عن أحدهم أي موقف، بل ما احتاج إليه ذكره وما لم يحتج إليه لم يذكره. قلت

للمفتي ولكن البحث في الكتب القديمة يؤسس لهذا الخلاف فقال الدكتور: دعنا نقرأ معا الكتب القديمة فهي تؤكد ما يلي :

تزوج سيدنا عمر بن الخطاب، (رض)، من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب(ع) وتزوجت فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب من عبد الله بن عمرو بن عثمان وهو حفيد عثمان بن عفان الخليفة الثالث، (رض)، ولقد سمى أهل البيت أبناءهم بأسماء كبار الصحابة كأبي بكر وعمر وعثمان، وسمى الصحابة الحسن والحسين وعلي وكذلك حال التابعين وتابعيهم إلى يومنا هذا، مما يدل على الحب المتبادل الذي أمر به الدين، فسمى الحسن أولاده بأبي بكر بن الحسن وعمر بن الحسن وطلحة بن الحسن وجميعهم استشهدوا في معركة كربلاء مع عمهم الحسين (ع).

ولقد ورد الثناء من أهل البيت على الصحابة ومن الصحابة على أهل البيت كثيراً؛ ومثال ذلك ما روي عن علي بن أبي طالب(ع) حين قال: لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فما أرى أحداً يشبههم منكم، ولقد كانوا يصبحون شعثاً غبرا، وقد باتوا سجداً وقياماً يراوحون بين جباههم، وتتعدد كذلك أمثلة ثناء الصحابة الكرام على أهل بيت سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول أبو بكر لعلي (رض): والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحب إلي أن أصل من قرابتي (البخاري)، وكان سيدنا عمر بن الخطاب يقول كلما أقبل عليه عبد الله بن عباس: جاء فتى الكهول، وذو اللسان السؤول والقلب العقول، وكان طلحة بن عبد الله يثني على ابن العباس ويقول: لقد أعطي ابن العباس فهماً ولقناً وعلما.

قلنا لمفتي الديار المصرية: ما اهمية الوحدة بين المسلمين لخدمة قضية الدعوة الاسلامية ؟

قال : لقد كانت لهذه الوحدة أكبر الآثار في نشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وأكملت اتحاد المسلمين على كتابهم وعلى كعبتهم وعلى صيام شهرهم وعلى نبي واحد هو خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وعلى رب واحد

يعبدونه، ولم يستطع أن يفتت هذه الوحدة أحد من الناعقين ولا المفرقين لأنهم امتثلوا لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢] .

قلت للدكتور علي جمعة قضية آل البيت تقودنا الى رأيك فيما يتعلق بموضوع الصوفية ما رايك في ذلك؟ ولماذا تتعدد هذه الطرق، واذا كان التصوف هو الزهد والذكر والسلوك الحسن الى الله فلماذا لا يكتفي المسلم لمعرفة آداب السلوك من الكتاب والسنة؟

قال : التصوف هو منهج التربية الروحي والسلوكي، يرقى به المسلم الى مرتبة الاحسان التي عرفها النبي (ص)" ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك" فالتصوف برنامج تربوي يهتم بتطهير النفس من كل امراضها التي تحجب اللسان عن ذكر الله، وتقويم انحرافاته النفسية والسلوكية فيما يتعلق بعلاقة الانسان مع الله، والطريقة الصوفية هي المدرسة التي يتم فيها ذلك التطهير النفسي والتقويم السلوكي والشيخ هو القيّم أو الاستاذ الذي يقوم بذلك مع الطالب والمريد.

فالنفس البشرية بطبيعتها يتراكم بداخلها مجموعة من الامراض مثل الكبر،العجب، الغرور، الانانية، البخل، الغضب، الرياء، الرغبة في حب الظهور ....الخ.

قال تعالى في حكاية عن امرأة العزيز: "وما ابرئ نفسي ان النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم."

ومن اجل ذلك فطن اسلافنا الاوائل الى ضرورة تربية النفس، وتخليصها من امراضها لتتواءم مع المجتمع وتفلح في السير الى الله.

والطريقة الصوفية ينبغي ان تتمسك بالكتاب والسنة، اذ ان الصوفية هي منهج الكتاب والسنة، وكل ما خالف الكتاب والسنة فهو ليس من الطريقة، بل ان الطريقة ترفضه وتنهى عنه. ولا تعد الطريقة تعاليم منفصلة عن تعاليم الشريعة بل جوهرها.

وللتصوف ثلاثة مظاهر رئيسية حث عليها القرآن الكريم:

اولا): الاهتمام بالنفس ومراقبتها وتنقيتها من الخبث قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ ثانيا): كثرة ذكر الله عز وجل ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ وقال النبي: ولا يزال لسانك رطب بذكر الله. ثالثا): ترك الدنيا وراء ظهورهم وعدم التعلق بها والرغبة في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ . أما عن الشيخ الذي يلقن المريدين الاذكار ويساعدهم على تطهير نفوسهم من الرين وشفاء قلوبهم من الامراض فهو الاستاذ الذي يرى منهجا معينا هو الاكثر تناسبا مع هذا المرض، أو تلك الحالة، وكان من هديه (ص) ان ينصح كل انسان بما يقربه الى الله وفقا لتركيبة نفس الشخص وهذا لايعني ترك شيء من الدنيا ، وانما هناك عبادة معينة يكثر منها السالك الى الله توصله الى الله، وعلى اساسها تتعدد ابواب الجنة، وفي النهاية الجنة لكل طالب مجتهد، يقول النبي (ص) لكل أهل عمل باب من ابواب الجنة يدعون بذلك العمل، ولأهل الصيام باب يدعون منه يقال له الريان. واخيرا نرد على من يقول لماذا لا نتعلم آداب السلوك وتطهير النفس من القرآن والسنة مباشرة،فهذا كلام ظاهره الرحمة وباطنه العذاب؛ لاننا ما تعلمنا اركان الصلاة وسننها ومكروهاتها بقراءة القرآن والسنة وانما تعلمنا ذلك من علم الفقه، صنفه الفقهاء واستنبطوا الاحكام من القرآن والسنة؛ فالمشايخ هم أهل الاستنباط، فماذا لو خرج علينا من يقول نتعلم الفقه واحكام الدين من الكتاب والسنة مباشرة ولن تجد عالما واحدا تعلم الفقه من الكتاب والسنة مباشرة. وكذلك هناك اشياء لم تذكر في القرآن والسنة ولا بد من تعلمها على الشيخ ومشافهته ولا يصلح فيها الاكتفاءبالكتاب كعلم التجويد (فيقولون المد اللازم ستة حركات)، فمن الذي جعل ذلك المد لازما؟

كذلك علم التصوف له مشايخه ورجاله، ولكن لما فسد الزمان وفسدت الاخلاق، فسدت بعض الطرق الصوفية وتعلقوا بالمظاهر المخالفة للدين فتوهم الناس أن هذا هو

التصوف، والله عز وجل سيدافع عن التصوف وأهله وسيحميهم بقدرته "ان الله يدافع عن الذين امنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور".

قلنا له لك دور كبير في الحوار بين المسلمين والغرب فيما يسمى بحوار الحضارات ؟

قال: "عندما نتحدث عن الحوار بين الأديان، فإن ذلك يشمل الحضارة، وهذا يتطلب بدوره التعاون الكامل في مختلف المجالات، سواء كانت هذه المجالات اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو علمية أو إنسانية. أنا أبحث عن المُشْتَرك، ولا يجب علي بصفتي عالم دين أن أسمح لهذه الاختلافات في الدين بأن تحرمني متعة المشاركة في مشروعات مشتركة."

وتابع جمعة: "أما بخصوص الاختلافات في الأديان، فهي غير خاضعة للمناقشة. أنا لا أدخل في مناظرة دينية، ولكن في حوار بين الأديان، والفرق بينهما عظيم، فالأخير يتبنى أسلوب البحث عن النقاط المشتركة مثل الأخلاق، والمصالح، والأمور الحياتية، الخ. أما المناظرة الدينية فهي تخضع لبحث أكاديمي دقيق لكل دين من الأديان، بعيدا عن الأضواء والإعلام."

وقال: «إننا نناقش الجانب الإنساني المشترك، ونناشد هؤلاء ممن يدينون بأديان أخرى أن لا يضعوا العوائق في طريق الوصول إلى أرض مشتركة، وذلك حتى يستفيد أولادنا وأحفادنا، ويعيشوا في سلام وتعاون وحب. الإسلام قائم على التحلي بحسن الخلق، وهذا ما يجعل لدينا الكثير الذي نشترك فيه مع الحضارات الأخرى».

قلت لفضيلة الشيخ علي جمعة كيف تنظر لقضية فلسطين وما جرى في غزة من مذابح صهيونية ؟

قال علي جمعة مفتي الديار المصرية: إن "الشجب والاستنكار رغم أهميتهما فإنهما لا يكفيان إزاء ما تقوم به "إسرائيل" بحق الشعب الفلسطيني الأعزل في قطاع غزة."وتابع جمعة: "نحن ندعو الأمة جميعها حكامها ومحكوميها إلى الوحدة، وهذا ليس بالمطلب الصعب على الأمة التي اتحدت في قبلتها وكتابها ورسولها وتعبد ربا واحدا."

واضاف انه عدوان أثيم آخر في سلسلة المذابح الإسرائيلية التي يصر عليها الكيان الإسرائيلي خلال ستين سنة منذ دير ياسين إلى قانا، عدوان يشغلنا في جزئياته عن القضية الأساسية، ويغبش عليها وهي احتلال الأرض. دخل الناس في بحث أطراف النزاع وتوزيع التهم هنا وهناك إلى حد الخروج عن اللياقة والاتهام بالعمالة إلى آخر القائمة الجاهزة ولم يتحدث أحد عن أصل المشكلة وهي أن إسرائيل كدولة معترف بها عالمياً موصوفة في كل قرارات الأمم المتحدة بأنها دولة تحتل الضفة الغربية والقطاع، وأنها ما زالت محتلة الجولان من سوريا، وأنه ما زالت تحتل مزارع شبعا من لبنان، وأنها احتلت جنوب لبنان ومن قبل سينا، ونعرف أنها لم تخرج إلا بهزيمة في إثر هزيمة عسكرية، وتمسكت بشبعا حررها الله. كل هذه الحقائق لا ينكرها أحد حتى إسرائيل، ولم يتكلم عنها أحد باعتبار الأمر الواقع، وإذا كان الباطل الإسرائيلي لا يمل من التعتيم الإعلامي وإبقاء الحال على ما هو عليه، فإنه يجب علينا ألا نمل من تكرار المطالبة بحقنا فإنه لا يضيع حق وراء مطالب.

رأينا العدوان والتضييق والمذابح والتخيير الإسرائيلي بين الموت والخنوع حتى ضج الشعب الفلسطيني ورأيناه يفعل ما لم يفعله أحد في العالمين فيما نعلم، رأينا شبابه بكل طوائفهم فيهم المسلم وغير المسلم، والشاب والشابة يفجرون أنفسهم في المحتل وعندما ظهرت هذه العمليات لم يدفع هؤلاء الشباب أحد من علماء الدين، إنما الواقع المرير هو الذي دفعهم.

إن حالة غزة لابد أن ترجع بنا إلى أصل القضية، فلا ننشغل فقط بالشعارات ولا البيانات ولا التألم والشجب والاستنكار وأصل القضية هو احتلال إسرائيل للأراضي بعد ١٩٦٧ وبناء المستوطنات واحتلال القدس والتغبيش عليها بكل الوسائل ورفض عودة اللاجئين الفلسطينيين وحفريات المسجد الأقصى المراد هدمه لأسطورة غير محققة وهو نوع من استغلال الدين أي دين في ألاعيب السياسة.

سألني سائل هل يجوز مع نزول هذه المصيبة أن نقنت في الصلوات الخمس، فقلت

له عند الحنفية والشافعية والحنابلة يسن القنوت للنازلة حيث أصابنا شيء من الخوف أو القحط أو الوباء وكلها محققة ومجتمعة في حالة غزة، إلا أن الحنفية يرون القنوت في الصلوات الجهرية فقط المغرب والعشاء والفجر، والشافعية تراه في كل الصلوات الجهرية والسرية ويجهر الإمام بدعائه في هذا القنوت والمنفرد يقنت سراً ومدة هذا القنوت لا يزيد عن شهر من حين بدء النازلة ثم يتركه فقد قنت النبي صلى الله عليه وسلم شهراً ثم تركه.

ثم سألني كيف ندعو الله وبما ندعوه؟ قلت له أدع الله أن يوقظ هذه الأمة وأن يجمع شملها وأن يوحد كلمتها، وأن يوفقها للعمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه وأن يشرح صدورها لما يحب ويرضى وأن يقيمها بعد عثرتها، وأن يمكن لها في الأرض وأن يعينها على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن ينصرنا على أعدائنا وعلى أنفسنا، وان يقيم الحق بنا وأن يهدينا سواء السبيل. أمين.

عسى إن حدث المحذور وقامت انتفاضة أخرى من جراء الضغط الإسرائيلي المتعنت المستمر أن نسمع الضجيج المعتاد لسؤال علماء الدين، وليتعقل زعماء إسرائيل وليعلموا أن ليس في مقدور احد أن يترك مقدساته ولا أرضه ولا حقوقه ولا أن يسكت على العدوان المستمر، وإن كنا نريد سلاما فإننا نريده عادلاً ودائماً حتى نلتفت إلى عمارة الأرض بدلاً من الانشغال بالرغبات المحمومة للكيان الصهيوني.

وأخيرا أناشد العالم العربي والإسلامي بالتضامن مع الشعب الفلسطيني في المحنة التي يعيشها من جراء هذا العدوان الوحشي الذي شنه جيش الاحتلال الإسرائيلي، وأدعو الشرعية الدولية وجميع القوى المحبة للسلام في العالم بالتدخل الفوري لوقف هذا العدوان الظالم على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، فإن ما يرتكبه جيش الاحتلال الإسرائيلي هو جريمة إنسانية تتطلب تكاتف العالمين العربي والإسلامي لاتخاذ موقف موحد ضد ما يرتكبه الاحتلال الإسرائيلي من حماقات في حق المدنيين العزل، كما

يجب على الأمم المتحدة والقوى الدولية التدخل الفوري لوقف حرب الإبادة الشاملة التي تشنها الآلة العسكرية الإسرائيلية وفك الحصار عن قطاع غزة وتوفير الحرية الكاملة للشعب الفلسطيني حتى يتسنى للجميع العيش في سلام وأمان.

الهوامش:

١ - الشورى:٢٣.

٢ - آل عمران:١٠٣.